

التحركات العسكرية فى جنوب مصر (١٨٨٤ - ١٨٩٢)

الدكتور/ محمد على القوزى
مدرس التاريخ الحديث المعاصر
كلية الآداب - جامعة بيروت العربية

كان لمصر قوات عسكرية ووقائع حربية عبر التاريخ ، من عصر الفراعنة إلى العرب والمماليك والأسرة العلوية ، حتى الثورة المصرية فى تاريخنا المعاصر ، وتميز الجندى المصرى فى جميع الحروب التى شارك فيها بأعمال البطولة والتضحية ، ويحسن بالذين لم يعرفوا كفاءة المصريين الحربية أن يرجعوا لتاريخ مصر الحربى من عهد الفراعنة حتى حروبه المشرفة الأخيرة . ومن مشاركة القوات المصرية فى حرب المكسيك (١) فى عهد محمد على إلى اشتراكها فى حرب الكويت فى التاريخ المعاصر . لقد أثبت الجندى المصرى أنه مقاتل من الدرجة الأولى وأقدر من أى جندى آخر على حماية مواقعه والدفاع عنها (٢) .

وعن التاريخ العسكرى الحديث لجنوب مصر أنه بعد محمد على الذى أصدر أمرا بإنشاء مدرسة المشاة فى أسوان لتكون ميدانا للتدريب بعيدا عن القاهرة بعد حادثة التمرد التى وقعت عام ١٨١٥م ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لوقوع أسوان قريبا من السودان الذى كان يعد العدة لفتحه باعتباره مصدرا غنيا للجند ، وكانت إدارة هذه المدرسة بالتعاون بين ناظرها محمد بك لاطوغلى ومديريها سليمان باشا الفرنساوى . ولما لم تكن أسوان بالمنطقة الملائمة للدراسة العسكرية ، نقلت المدرسة الحربية إلى إسنا .

ويرتبط التاريخ العسكرى لجنوب مصر بالسودان منذ عهد الأسر الأولى فى تاريخ مصر القديمة ، واعتبر السودان امتدادا طبيعيا للأراضى المصرية فى القرن التاسع عشر (٣) ، عل أساس وحدة وادى النيل ، لقد كانت مصر سيدة على السودان إلى أن كانت الثورة المهدية عام ١٨٨١م (٤) . فاضطرت مصر أن تتراجع فى السنة التالية إلى الشمال عند الشلال الثانى ، وسقطت البلاد فى يد المهدي ثم فى يد خليفته ، وأصبح وادى حلفا آخر المراكز على الحدود

المصرية ، بعد أن قررت سلطات الاحتلال فى مصر الانسحاب من بطن الحجر توفيراً
للتنفقات والمتاعب .

وهنا لابد من التنويه بالصعوبات الكبيرة التى اعترضت سبيل محمد أحمد المهدي ورفيقه
التعايشي اللذين وجدا أنه من الصعب عليهما دفع الأهالى فى جنوب مصر للثورة على
الحكومة المصرية ، لأن هؤلاء الأهالى أرجعوا أسباب الصعوبة التى يعانون منها إلى تحكم
الأجانب الأوروبيين وليس إلى الحكومة المصرية ، وبالتالي لا يجوز شرعاً الثورة عليها ،
ولقد تمسك الكثير من كبار السودانيين بالولاء للحكومة المصرية ومنهم : السيد أحمد
الأزهرى ابن الشيخ اسماعيل الولي الكردفاني الكبير ، ونجيب بك بطركى ، محمد بك الملك ،
وفرغ باشا الزينى وحسين باشا خليفة ، والشيخ حسين عبدالرحيم شيخ الدويم و الشيخ
عبدالقادر قاضى الكلاكلة ، والشيخ عوض الكريم أبوسن شيخ الشكرية (٥) .

وكانت عملية القضاء على الثورة المهدية تقع على عاتق الجنود المصريين منذ
المحاولات الأولى عام ١٨٨٣م ، والتى كانت بقيادة ضباط بريطانيين اعترفوا بكفاءة الجندي
المصرى فى مواقع عديدة (٦) .

بعد أن انتشرت انتصارات المهدي فى كردفان ودارفور وسنار والسودان الشرقى ، وكان
السبب الأكبر فى إخفاق محمد رؤوف باشا حاكم دار السودان أنه لم يكن لديه من القوات
مايكفى للقيام بعمليات عسكرية على نطاق واسع ، ومرد ذلك إلى اشتعال الثورة فى مصر
على يد أحمد عرابى ، وانشغال الحكومة المصرية فيها وعجزها عن مساندة رؤوف باشا بل
لقد أرسلت عبدالقادر حلمى باشا إلى السودان دون أن ترسل معه أية نجدة ومع أن عبدالقادر
هذا قد أخضع الثورة فى سنار فقد استطاع المhedيون الاستيلاء على الأبيض فى ١٩ يناير
١٨٨٣ واستدعى عبدالقادر إلى القاهرة وعين بدلا منه علاء الدين باشا وحضر معه هكس
باشا الذى كان نصيبه الموت ونصيب جيشه الفناء فى موقعة شيكان فى ٥ نوفمبر ١٨٨٣ مما
قوى مركز المهدي فى الخرطوم .

سياسة بريطانيا لإخلاء السودان :

قررت حكومة جلاد ستون منذ هزيمة هكس إخلاء السودان وجعل حدود مصر عند
وادي حلفا ، إلا أن هذه السياسة كانت معارضة من الوزراء والعسكريين المصريين منهم : -

عبد القادر باشا الذى كان حكامدارا إلى أوائل عام ١٨٨٣ ، وقام بحملات ناجحة ضد ثوار الجزيرة وكان عضوا فى وزارة نوبار باشا أوضح أن إخلاء السودان يمكن أن يتم بين سبعة أشهر وسنة ، ولكنه يشترط عدم إعلان الجلاء حتى لا يؤدي هذا الإعلان إلى ارتباكات ، غير أن جوردون أصر على الإعلان فى السودان عن سياسة الجلاء .

الشخصية الثانية هى حسين باشا خليفة - زعيم العبادية ومدير بربر آنذاك - الذى كتب للخديوى فى ٢٢ يناير ١٨٨٤ - ردا على الأوامر التى وجهت إليه بأن يرسل كل المراكب إلى الخرطوم واستحضار الجمال اللازمة للترحيل ، بأن إعلان الجلاء سيعقبه هياج للأهالى والعربان وربما تمردوا وقطعوا الطريق من أبى حمد إلى كروسكو (٧) .

لقد أيد حسين باشا صعوبة تنفيذ سياسة الإخلاء التى نادى بها جوردون وأظهر مشاكل الترحيل خاصة وأن قبيلته العبادية هم الذين يحتكرون طريق صحراء العتمور - أبو حمد .

لم تكن حكومة القاهرة لتقبل فكرة تعيين جوردون لتنفيذ سياسة الإخلاء خصوصا بسبب الطابع الدينى الذى اتسمت به الثورة المهدية ، إذ إن وضعه على رأس الحكم فى السودان سيكون معناه انضمام آخر قبيلة موالية لمصر إلى المهدي (٨) .

وكانت آراء جوردون متعارضة تمام التعارض مع سياسة حكومة لندن ، إذ إن جوردون كان معاديا لسياسة إخلاء السودان ، ومطالبيا باستخدام الوسائل الحربية ، وكان لايمانع فى إخلاء المديرية السودانية مثل دارفور وخط الاستواء ، ولكنه كان مصرا على الاحتفاظ بالخرطوم وكان يرى أن السماح للمهدى بدخول الخرطوم يعنى تهديدا مباشرا لمصر نفسها . هذه الآراء كانت معارضة لآراء السلطات البريطانية فى مصر أيضا ، والتى كانت ظاهرة عند كرومر بضرورة سحب القوات المصرية من السودان بأسرع وقت ، لكن الحكومة البريطانية لم تقدر خطر إرسال رجل مثل جوردون إلى السودان حق قدره ، وذلك أن أعمال هذا الرجل السابقة وأخلاقه لم تكن لتؤهله بالقيام بمثل هذه المهمة (٩) .

وعند انتقال جوردون إلى السودان عن طريق الصعيد - عتمور - أبى حمد اختمرت فكرة الصلح مع المهدي فى ذهنه على أساس أن يبقى المهدي حاكما فى كريفان وجوردون

حاكما فى الخرطوم ، وكان جوردون قد أبرق من أسبوط عام ١٨٨٤ إلى حسين باشا خليفة مدير بربر وزعيم العبادة يخبره بأنه قد سمى واليا مفوضا على السودان .

وفى أسوان اتصل ثانية بحسين باشا خليفة وعلم منه أن الأهالى سيقابلونه بالترحاب وأن المهدي لا خوف منه ، وأخبره حسين باشا أنه سيفتح الطريق بين بربر وسواكن (١٠) .

دخل جوردون للخرطوم وأعلن أنه لن يحارب المهدي كما أعلن فرمان الإخلاء عن السودان وأنه عفا عن متأخرات الضرائب وأيضاً قام بتخفيض الضرائب الحالية ، واعتقد أنه بذلك سيعيد الأمن والطمأنينة إلى السودان خلال شهر واحد ، وأن محمد أحمد المهدي سيتراجع عن دعوته قريباً .

لم تكن هذه السياسة حكيمة ، يؤكد ذلك سيتوارت فى مذكراته عقب هذه التصريحات ، ووصفها بالمتسرفة ؛ لأن الناس سيعتبرون تخفيض الضرائب وهذه التقييمات بمثابة رشوة تمهيدا لسحب الجنود والمدنيين وترك البلاد للفوضى .

واعتقدت الحكومة المصرية أن إعلان التخلي عن السودان سوف يدفع القبائل التى بقيت موالية لمصر مثل العبادة والبشارية أو القبائل المترددة فى ولايتها مثل الكبابيش ، إلى الانضمام للمهدي فتزداد قوته بانضمام إليه ، وسوف يتوجب على الحكومة المصرية أن تكافح هذه القبائل البدوية المندفعة غريزيا للسلب والنهب مما يرغمها على الانكماش بسبب حرمانها من حدودها الطبيعية .

لم تكن القرارات التى أصدرها جوردون ذات فائدة كبيرة فى التأثير على أهل السودان فقد كان إعلان تعيين المهدي أمراً مثيراً للعجب ؛ لأن المهدي كان يحكم فعلاً فى كردفان . ويعلق محمد فؤاد شكرى على هذه الأحداث بأن اطلاع حسين باشا خليفة مدير بربر على كتاب الخديوى توفيق لجوردون أو ما صار يعرف بالفرمان السرى خطأ تقدير ، ووصف ريجينالد ونجيت حكمدار السودان بعد ١٨٩٩ بأن منشور جوردون كان له الأثر المميت فى إضاعة السودان ، ويتساءل سلاطين باشا : كيف يمكن أن تساعد القبائل جوردون ، إذا كان هو قد أعلن عن إخلاء السودان ؟ (١١) ، كما يصف جلال يحيى ، تلاوة الفرمان السرى أمام كبار مشايخ المنطقة بأنه " الطامة الكبرى " (١٢) .

كان جوردون قد بعث بكسوة شرف للمهدى معلنا إياه بأنه أصبح ملكا لكرديان ويرجوه توطيد العلاقات بينه وبين الحكومات الأخرى لإنهاء الحرب القائمة ، وفي مارس ١٨٨٤ ظهر ثلاثة من الأنصار يحملون خطابا وربطة فيها ملابس وطلبوا مقابلة جوردون ، وقدموا له الخطاب والربطة التي تحوى جبة التشريف التي بعث بها جوردون ومعها جبة الأنصار ليلبسها إن هو استضاء قلبه بنور الإسلام ، وكان جورون مسيحيا متعصبا يعتبر نفسه قديسا (١٣) ، فغضب وأيقن أن مفهومه للثورة المهدية وطريقة معالجتها كانت خاطئة .

من جهة ثانية كانت إنجلترا تتوقع حدوث اضطرابات في مصر وفي الصعيد بشكل خاص نتيجة لتنفيذ سياسة إخلاء السودان ولذلك فإنها قررت إرسال قوات من جيش الاحتلال البريطاني إلى الصعيد لكي تحاول أن تسيطر على الموقف هناك في أثناء عملية الانسحاب مع احتلال وتحصين كل من وادي حلفا وكروسكو كمحطات للحدود ، في حين تجمع بقية القوات في أسوان .

بدأ جوردون بعد وصوله للخرطوم بفرز الجنود المصريين إلى البر الغربي للنيل الأبيض ريثما يتم ترحيلهم للشمال ، وبينما كان جوردون منهمكا في مشاكل الترحيل بعث المهدى برجاله لمناوشة الخرطوم فأدرك جوردون عندها أن سياسته كانت خاطئة فوزع جنوده على خط النار وزاد في تحصينات عبدالقادر باشا وقواها ، ورجعت الجنود المصرية إلى أماكنها في خط النار .

تريث المهدى وبعث بأستاذة محمد الخير إلى منطقة الجعليين ليحاصر بربر ويتمكن من اقتحامها والاستيلاء عليها في مايو ١٨٨٤ ، وبذلك انعزلت الخرطوم عن العالم الخارجى وبدأ الرأي العام البريطانى يخشى سقوط المدينة وموت جوردون ، ونتيجة لضغط الرأي العام البريطانى تقرر إرسال حملة إنكليزية على رأسها ولسلى الذى كان قائدا لجيش الاحتلال لمصر عام ١٨٨٢ ، وسميت الحملة " حملة إنقاذ جوردون " .

ورأى المهدى أن يبعث بالأمير عبدالرحمن النجوى لحصار الخرطوم (١٤) ، فأرسل النجوى إنذارا لجوردون وآخر لأهالى الخرطوم يدعوهم للتسليم ، واتسمت خطابات النجوى بالهدوء ، وكانت ردود جوردون جافة غاضبة ، مع أن المهدى كان مسيطرا على الموقف محكما الحصار على الخرطوم وأنصاره متعطشون للهجوم على المدينة ، وأنه في المقابل كان

موقف جوردون السياسى والعسكرى ضعيفا ، ومع ذلك فقد رفض جوردون أن يكون كسلاطين باشا(١٥) الذى أظهر انتقاده له فى يومياته لارتدائه جبة الأنصار المرفعة .

كانت حامية الخرطوم بقيادة فرج باشا الزينى الذى شارك فى ثورة عرابى وحكم عليه بالنفى إلى السودان ، ولكنه التحق ثانية بالجيش المصرى وعين قائدا عاما للحامية فى الخرطوم ، ورغم أن كثيرا من ضباط جوردون قد قاتلوا الأنصار وسقطوا فى الميدان إلا أن فرج تخلى عن بزته العسكرية واتجه نحو الصحراء ، وكان فى الحامية ثلاث أورط من الجنود المصريين بقيادة محمد نصحي باشا يستعدون للرحيل إلى مصر ، ولكن عند حصار الخرطوم بقوا فى المدينة وعين إبراهيم بك فوزى قائدا عاما للقوات المصرية .

ويتضح من يوميات جوردون أنه كان ضحية تضليل فى تقديره لموقف المهدي وكان جوردون مقتنعا بأن خمسة وعشرين جنديا بريطانيا بثيابهم الحمراء فى شوارع الخرطوم كفيلة بإرغام المهدي لقلع خيامه والعودة إلى كردفان .

بالمقابل عندما شعر المهدي بحملة المساندة تطل برأسها عبر الصحراء ، وأن هذه النجدة ستصل إلى الخرطوم بعدما وصلت إلى المتمة(١٦) أمر بالهجوم . ومع أن الدلائل تشير إلى أن المهدي لم يكن راغبا فى قتل جوردون بل كان يريد أسره حيا(١٧) ، فقد تم القضاء عليه .

تراجع طابور الصحراء الذى قاده ولسلى تحت اسم حملة إنقاذ جوردون ، وبقي فى دنقلة ينتظر التعليمات الجديدة ، خاصة وأن إنقاذ جوردون لم يتحقق .

تأسف الشعب البريطانى لمقتل جوردون وسقوط الخرطوم بأيدى الثوار فى ٢٦ يناير ١٨٨٥ وألقى باللوم على وزارة جلادستون ، وطلب ولسلى قائد حملة الإنقاذ تعليمات جديدة ؛ لأن هدف الحملة كان إنقاذ جوردون وهذا لم يتحقق ، وكان رد الحكومة أن طلبت منه سحق قوة المهدي فذهب ولسلى إلى القاهرة ليكمل استعداداته(١٨) .

كان الموقف على حدود الهند بنذر بالحرب ، لم يخف الروس نيتهم فى الهجوم على أفغانستان ، وأن هجوما روسيا على الهند سيفقد بريطانيا سيطرتها على إمبراطوريتها ، لذلك رأت بريطانيا أن تتخلى عن السودان(١٩) وتسحب قواتها إلى مصر ، ولم يكن لدى ولسلى فى

جنوبى أسوان سوى سبعة آلاف وخمسمائة جندى بريطانى ، وفى حال تنفيذ سياسة الإخلاء يجب إبقاء ثلثهم على الحدود ، ولا يوفر الإخلاء بذلك إلا ثلثى القوات ، وفى المقابل سيؤدى هذا الإخلاء للانسحاب من دنقلة وتسليمها للشوار ، ويضمن لهم الانسحاب انضمام القبائل الحدودية إليهم والتي كانت مترددة بين الولاء لمصر والولاء للمهدى ، لقد شدد ولسلى على ضرورة البقاء فى دنقلة لمنع الثورة من الوصول إلى مصر ولضمان بقاء القبائل الحدودية موالية لمصر . وفى رسالة من ولسلى إلى هارتجتون بهذا الشأن فى ١٥ أبريل ١٨٨٥ يقول : " إذا تركنا دنقلة فإن أحوال هذه المنطقة ستصبح مماثلة لأحوال الخرطوم الحاضرة ، سيكون هذا ما جلبناه على حليفنا الخديوى فى إحدى مديرياته الرئيسية ، وكل ما جلبناه على هذه المديرية نفسها لقد وجدناها فى حالة سلم وأمن - نسيبا - وسنتركها فريسة للنهب والقتل (٢٠) "

وكان المهدي يطمح لفتح مصر والشام والقسطنطينية ومكة المكرمة ، وإخضاع جميع الأمم ، وكانت إنجلترا تستعد للخروج من دنقلة ، لذلك شرع المهدي فى الاستعداد لغزو مصر وكان لابد له من رجال يساعدونه على تحقيق ذلك فقام بتسمية حسين باشا خليفة عاملا عاما على قومه العباددة الذين كانوا داخل حدود مصر ، ومن أراد الانضمام إليهم من أهله وطلب إليه أن يحصل على موافقة المصريين حتى يدركه المهدي بجيشه .

وقد بعث المهدي برسائل إلى زعماء العباددة من الشناتير والعشاباب ، وإلى حسين باشا خليفة بمنشور يطلب منه تبليغ دعوة المهدي إلى الناس ويفوضه فى تولية من يرى فيه إصلاح المسلمين وعزل من يرى فيه إفسادهم ويبلغه بتعيين الشيخ مشنخ كرار العبادى أميرا على الشناتير والشيخ بشير جبران العبادى أميرا على العشاباب ، ويبلغ الشيخين بتولية حسين باشا خليفة عاملا عاما على العباددة (٢١) .

وفى التاسع من رمضان ١٣٠٢هـ الموافق ٢٢ يونيو ١٨٨٥ وبعد انصراف المهدي للعبادة ، أصدر منشورا كأنه يودع فيه الدنيا ، وبالفعل فقد أسلم المهدي الروح فى هذا التاريخ (٢٢) . وبعد وفاة المهدي أرسل الخليفة عبدالله التعايشى قوة من الأنصار لتعقب حسين باشا خليفة وإعادته إلى أم درمان ، ولكن حسين باشا تمكن من دخول حدود مصر والوصول إلى أسوان ثم إلى القاهرة ، لقد كانت خدعة أحسن استخدمها حسين باشا خليفة ليتخلص من السودان ويستقر فى بلدته فى صعيد مصر (٢٣) .

وقد جرى تقديم حسين باشا خليفة إلى مجلس عسكري في القاهرة لمعرفة الدوافع التي أدت إلى سقوط بربر وضياح خمسين ألف جنيه كانت مودعة بخزانة مديرية بربر ومستوليته تجاه ذلك ، وفي نهاية المحاكمة ظهرت براءته من هذه التهمة وعين مفتشا بوزارة الداخلية حتى توفي عام ١٨٨٦ (٢٤) .

إن انتصار المهدي الأولى على الجيوش المصرية في السودان ، وفرار حملة إنقاذ جورديون ، جعلت الخليفة عبدالله يعتقد أن الدولة الكبرى هي الحبشة ، وأن بريطانيا هي الصغرى ، ولهذا فقد أخطأ في تكليف الحملة المرسلة إلى مصر .

اتخذ الخليفة عبدالله التعايشي (٢٥) منذ البدء سياسة الفتح ونشر الدعوة استمرارا لخطه المهدي (٢٦) وكانت مصر هي الهدف الأول في نية المهدي ، لذلك وجه التعايشي منشورا إلى أحبائه في الله أهالي مصر والجهات البحرية كافة يدعوهم فيه إلى التسليم للمهدية ، كما أنذر الخديوي توفيق بضرورة اتباعه : " ولو نظرت بعين البصيرة والإنصاف ... لأدعنت لي بذلك وسلكت باتباعي أحسن المسالك " . بل أنه أنذر الملكة فيكتوريا ودعاها للإسلام : " فإن أسلمت واتبعت المهدي ... فإنني سأقبلك وأبشرك بالخير والنجاة من عذاب السعير " : وخاطب السلطان عبدالحميد يحذره من سياسته الخاطئة بصرف جهده : " في إعانة أهل الأصنام على هدم أركان الإسلام ، كما خاطب قبائل نجد والحجاز وملك الحبشة وغيرهم (٢٧)

موقعة جنس ١٨٨٥ :

التقت القوات المهدية بالجيوش المصرية في موقعة جنس في ٣٠ ديسمبر ١٨٨٥ وكان الجنرال ستيفنس قائد جيش الاحتلال في مصر ، لما علم بقدوم المهديين إلى كوشة ، ساق إليها الجنود المصرية والإنكليزية من مصر والحدود فوصلها في ١٩/١٢/١٨٨٥ ومعه الجنرال جرنفيل سردار الجيش المصري ، ووضع تشكيلة قتالية حققت النصر (٢٨) .

ومن الذين امتازوا في هذه الواقعة من الضباط المصريين : البكباشي أحمد أفندي فهمي أركان حرب ، الذي أدى مساعدات ذات قيمة ، والبكباشي في الطوبجية المصرية حسين أفندي رضوان فإنه أظهر بسالة ومهارة في إدارة المدفع .

هذا وبعد الواقعة رأّت الحكومة أن لا فائدة لها من احتلال بطن الحجر من غير مشاق ونفقات فأخرجت جنودها منها وجعلت آخر حدها الجنوبي في حلفا .

في ٧ مايو خرج العساكر الإنجليز من حلفا وتركوا حمايتها للجيش المصري ولكن بقي ألف منهم في أسوان لنجدة الجيش المصري إذا دعت الحاجة ، ويقوا هناك إلى عام ١٨٨٧ ثم عادوا إلى مصر .

إن وقع عبء الدفاع عن المنطقة الواقعة بين الشلال الأول والشلال الثاني على عاتق القوات المصرية ، وعلى مسافة ثلاثين ميلا جنوب حلفا امتدت منطقة تفصل بين آخر مراكز الحدود المصرية وسرس التي هي أول مراكز المهديين في الشمال ، وهذه المنطقة بقيت مسرحا لمناوشات حدودية متعددة .

حاولت سلطات الاحتلال في مصر الوصول إلى تسوية لمشكلة الحدود الجنوبية بطريقة المفاوضات مع المهديّة ، وكان في وسع الخليفة عبدالله تأمين حدوده من ناحية مصر دون حاجة إلى الدخول في حرب معها لو أنه قبل المفاوضات ، فقد أوفدت القاهرة إلى وادي حلفا يوسف باشا شهدي لمحاولة التفاوض مع الدراويش في مايو ١٨٨٦ ، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل وبقي الخليفة مصمما على غزو مصر (٢٩) .

واقعة سرس ٢٨ أبريل ١٨٨٧ :

وكان محمد الخير قد خرب سكة الحديد بين عكاشة وسرس سنة ١٨٨٥ وخرب النور الكنزي الذي كان على مقدمة جيش النجومي سكة الحديد بين سرس وعبكة وكذلك بين خورموسى وحلفا .

عند ذلك جهز قائد حلفا في ٢٧ أبريل ١٨٨٧ سرية من العساكر وتوجه بهم إلى سرس بقصد الهجوم ، وباغت النور الكنزي في سرس وأوقع به خسارة أدت إلى مقتله وجميع رجاله البالغين مائتين .

استعادة سرس :

لما بلغت النجومى أخبار الهزيمة أرسل إلى الحدود جيشا قويا بقيادة عبدالحليم مساعد ، فبنى معسكرا فى فركة وأرسل مقدمة جيشه فاحتلت سرس فى ١٨ يونيو ثم لحقها بجميع الجيش فى ١٦ ديسمبر ١٨٨٧ ، وبلغ عددهم فى سرس ٢٨٠٠ مقاتل .

غزوة دراويش أبى حمد للكلابشة ١٨٨٨ :

وكان الخليفة قد أبقى فى أبى حمد حامية لرصد تحركات الجيش المصرى فى كورسكو وعهد إلى الحسن محمد خليفة قيادة الحامية ، وبلغ الحسن أنه فى شرقى الكلابشة نقطة للبوليس المصرى عليها الملازم محمد فنى فهجم فى ٢٥ فبراير ١٨٨٨ ببعض أنصاره على هذه النقطة وقتل بعض البوليس ثم أسر الملازم المصرى ونقله إلى أبى حمد وبعد ذلك أرسله إلى الخليفة فى أم درمان ، " فسر به التعايشى سرورا عظيما وخرج به إلى ساحة العرضة ... ثم أرسله إلى القلابات ليرى جيوش أبى عنجة ... ثم أعاده إلى أم درمان " (٣١) .

عندها أقام قائد الجيش المصرى سنة ١٨٨٩ نقطة مكونة من القبائل الحدودية وخاصة العباددة والمليكاب فى منطقة آبار المرات (٣٢) برئاسة صالح بك خليفة لتكون نقطة مقابلة ومراقبة لممر أبى حمد ، وسعى قلم المخابرات مع صالح خليفة فأنقذ الملازم محمد فنى من قلب أم درمان وأتى به إلى مصر عن طريق آبار المرات فى ٢٤ سبتمبر ١٨٩٢ (٣٣) .

غزوة دراويش سرس لارمنة ١٨٨٨ : ٢٤

بناء على أوامر الخليفة لقوات النجومى بضرورة الرباط فى سرس ، وبما أن الخطط العسكرية اعتمدت على منع وصول الإمدادات الغذائية للدراويش خاصة وأن سرس لم يكن بها إلا الحجارة ، وأن طلب المؤونة من دنقلة لم يصل : " فلما جاعوا عصوا الأمر وأصبحوا كالذئاب الخائفة ، يشنون الغارات على بلاد الحدود ويعودون إلى معسكرهم فى سرس ، من ذلك غاراتهم على أرمنة وعلى التوفيقية (٣٥) فى ١٩ يونيو ١٨٨٨ بهدف النهب وبث الذعر كما حصل فى التوفيقية عندما دحر أهلها عند رؤية الدراويش " فرموا بأنفسهم فى النيل " (٣٦)

لم يدم الأمر طويلا فقد استطاع البكباشى عبدالغنى فؤاد أن يطلب مساعدة نهريّة من ودهاوس قائد العساكر فى حلفا ، واستطاع أن يحيط بمهاجمى طابية خورموسى ويهزمهم فى ٢٩ أغسطس ١٨٨٨ .

بعد هزيمتهم فى خورموسى بقى الدراويش فى سرس ينتظرون عودة النجومى من أم درمان لتجديد غزوهم لمصر ، وفى ٢٩ أبريل ١٨٨٩ خرج جماعة من الدراويش بقيادة ود رحمة على قاصدين دبيرة على مسافة أحد عشر ميلا شمالى حلفا ، وكان الجيش قد أخرج البواخر النيلية لحماية البلاد شرقا وغربا بين حلفا وكورسكو . ونجح الدراويش فى غزو البلدة واختطفوا ما استطاعوا من المواشى والأمتعة وساقوا الأسرى فلقق بهم الجيش المصرى وكمن لهم فى طريقهم إلى سرس على بعد ثلاثة أميال من حلفا ، وأغار عليهم وقد طعن أميرهم ودرحمة الباشجاويش فى الجيش المصرى ويدعى حسن محمد الفقى بحربة فى جنبه فأخرج حسن الحربة وصرع بها مهاجمه ، وبلغت ودهاوس بطولة هذا الجندى المصرى فأوصى به ورقى إلى رتبة ضابط .

وقد أظهر الفرسان المصريون فى هذه الموقعة خبرة تامة فى استعمال الحراب ، فأدخل السردار المزراق فى سلاح السوارى منذ ذلك العهد ، وجعل نصفهم مسلحا بالسيف والنصف الآخر بالمزاريق ، وقد أسر العساكر المصريون ثمانية من الدراويش وعادوا بهم إلى حلفا .

ومع ذلك لم يكف الدراويش عن التحدى والغزو فقاموا بغزوة سحر الغرب فى ٩ مايو ١٨٨٩ ولكنها فشلت كسابقاتها .

وقائع دنقلة :

كانت قوات الخليفة التعايشى فى دنقلة تعاني الانقسام بسبب الخلاف الدائم بين النجومى ومساعدته مساعد قيدوم ، واستطاع الخليفة أن ينهى الخلاف بإعادة مساعد إلى أم درمان وتعيين يونس الدكيم أميرا عاما لدنقلة يقيم فيها بينما يغادرها النجومى غازيا مصر . وكان الخلاف بين النجومى ويونس أكثر حدة منه مع سلفه . فغادر النجومى دنقلة فى ٣ مايو ١٨٨٩ يائسا ، وتتبع ود هاوس قائد حامية الحدود فى حلفا تنقلاته ، وأمر ود هاوس سكان الضفة الغربية من حلفا بإخلاء القرى وقطع الثمر وتركها خرابا للأنصار كي لا يستفيدوا منها ، والانتقال إلى الضفة الشرقية .

وقعة أرجين :

نقل ود هاوس ألفين من جنوده إلى أرجين (٣٧) شمالى حلقا واستخدم بيوتها وقلاعها متاريس لجنده ، ووضعت السفن الحربية فى الأماكن الضعيفة لإعانة جنود البر ، واجتمع لدى ود هاوس ١٩٤٢ عسكريا وثمانية مدافع ، وكانت تلال أرجين التى نزل بها النجومى تقع ضمن المرمى النارى للمدفعية المصرية ... " فلما أطل النجومى أمر ود هاوس طوبجيته فرموه بالقنابل من الشرق والغرب والوابورات ، وكان جيش النجومى فى أشد العطش ورأى وأنه لن يتسنى له الوصول إلى الماء إلا بالقوة " ... فشق طريقا بين القنابل والرصاص حتى وصلوا إلى الماء . عندها شن المصريون هجوما عنيفا لطرد الدراويش من النيل ، ودام القتال طيلة النهار وانتهى بهزيمة الدراويش بعد مقتل تسعمائة رجل منهم (٣٨) .

رغم هزيمة النجومى فى أرجين فقد بقى مصمما على القتال ولو منعه ود هاوس من ورود الماء ، وعندما أشار عليه بعض أتباعه بالرجوع إلى الورا قال النجومى : " لا والله لا أرجع إلى الورا إلا محمولا على الأكتاف ، فإذا عطشنا أو جعنا فإنما نحن فى جهاد فلنتذرع بالصبر والثبات حتى نفوز بالنصر أو بالشهادة " . قال ذلك وهز سيفه فوق رأسه محمسا الأمرأ فى المجلس .

لم يكن مع ود هاوس مايكفى من العساكر لمهاجمة النجومى فى الصحراء فبقى يلاحقه بقصد منعه من ورود الماء حتى وصوله إلى بلجة أو البلينة (٣٩) على مسافة ٢٥٠ ميلا من أرجين ، حيث وقف النجومى هناك منتظرا النجدات التى علم أنها فى طريقه إليه من الجنوب .

وفى ١٥ يوليو ١٨٨٩ وصل جرانفيل باشا قائد الجيش المصرى إلى بلاجه ليشرف على العمليات بنفسه ، واتضح بعد عملية استكشاف لمعسكر الدراويش أن كثيرين من عساكرهم يفرون يوميا إلى معسكر الجيش المصرى وأن قوات النجومى فى حالة بائسة ، والمؤمن معدومة تقريبا ، يؤكد هذا كتاب النجومى إلى الخليفة الذى يذكر فيه الصعاب التى يلاقيها بعد وقعة أرجين وحالة مقاتليه وأسماء الأمرأ الذين قتلوا فيها يقول : " فإن الجوع اللاحق بهم أضناهم وأذهب قواهم فورم أجسامهم وغير أحوالهم لأنهم قبل دخول بلد العدو كان قوتهم التمر الأخضر المر ونواه وانقطع عنهم من مدة ... ولشدة الضرر جلسوا جميعا على الأرض وكثيرون منهم ماتوا جوعا ، وأما ضعفاء اليقين منهم فلعدم صبرهم على البأساء والضراء رغبا فى الأعداء ، والجهادية والعبيد والخدم لحقوا أيضا بالأعداء وارتدوا عن الدين ولم يبق

منهم إلا النادر ... ولولا لطف الله وجميل نظركم لما قدرنا على الوصول إلى بلاجة " .. ثم يتكلم عن موقف المصريين فيقول : " أما أهل الريف من معتوقة إلى بلاجة التي وصلنا إليهم فكلهم قاموا في عون الكفرة وحزبهم كل التحزب ومن عهد دخولنا ديارهم إلى الآن لم يأتنا منهم وارد ولا معرج ولا راغب في الدين ولا من يريد تجارة ، بل الجميع حملوا الأسلحة النارية وحاربونا أشد المحاربة ، وما من قرية من قراهم التي يشاطيء البحر الغربي إلا رأينا أهلها قد قطعوا أقطالهم بالشرق أو أدخلوها الجزائر وتركوا القرية خالية لتكون حصنا لهم

وللكفرة لحرب الأنصار وتبين أن جميع الجهات التي مر الجيش بها من أرض الريف ، أهلها عداة وعصاة بل الذين لم نصل جهتهم إلى الآن فالمتراتي من حالهم أنهم كذلك لأننا ناهزنا الوصول إلى بلدهم ولو كانوا راغبين لأتونا فإن المكان ليس ببعيد ، أما بوابير الكفرة فما زالت سائرة معنا بالبحر تبين معنا حيث بتنا وتقبل حيث قلنا وعساكرهم ماشية بالشرق في خيل وجمال لمنع لأنصار ماء البحر ولم يكن شرب الماء إلا بقتال ومضاربة واستشهادات وجراحات " (٤٠) أراد النجومي من خلال هذا الكتاب أن بنفس ما يحتقن بداخله من صعوبات وينقلها إلى الخليفة مبررا هزيمته ، مبينا وقوف أهل جنوب مصر إلى جانب حكامها ، ويلومهم على تقاعسهم لعدم الانضمام إلى حركة المهدي التي يمكنهم الانضمام إليها لو شاموا فهو ليس ببعيد عنهم ، وفي هذا دليل كاف على أن أهل القبائل في جنوب مصر وقفوا إلى جانب المصريين الرافضين للحركة المهدية .

وكان قائد الجيش المصري جرانفيل باشا قد أصدر إلى أهل الحدود منشورا بتاريخ ١٠ يوليو ١٨٨٩ حذرهم فيه من ممالأة النجومي بقوله : " إن من كاتب الدراويش أو ساعدهم بشيء ما فعاقبه القتل ، ومن بقى على الولاء وفقد شينا من زرعه فالحكومة تعوض عليه " (٤١).

كما بعث جرانفيل باشا بعد وصوله إلى الحدود بكتاب إلى النجومي بدت فيه عبارات الحرب النفسية وسياسة التفرقة بقوله : .. " وأنا عالم سوء حالك ، وأنت عالم أنك فريسة لغيرة ذلك الخليفة الكذاب الذي جعل ابن عمه يونس عاملا في مكانك وجعلك تحت طاعته وأرسلك أنت والأعراب الذين يخشى شرهم بحجة فتح مصر وإنما يريد هلاككم فإنه يعلم أن الذي أرسلكم إليه لمستحيل عليكم بل أنتم أيضا تعلمون ذلك ، ولكنكم لعمارة قلوبكم تظنون أن طاعة ذلك الكذاب واجبة ... وأنتم فيما تعلم طالبون بمبان ، فاعلموا أن بمبان تبعد عنكم مئات

الأميال ... بل هب أنكم وصلتم بانكم تلاحون فيها جيوشا إنجليزية ومصرية متعطشة لشرب ماء الأعداء ، وعليه فإذا تقدمت إلى الأمام فأنت هالك لا محالة ، وإذا رجعت إلى الوراء فإن جيوب حلقا واقفة لك بالمرصاد ، وإذا بقيت حيث أنت مت جوعا وعطشا فأصبحت كالطائر فى القفص لا منفذ لك ولا معين ... فقد جنتك بهذا أدعوك إلى التسليم فإذا سلمت سلمت أنت ومن معك من الأمراء " (٤٢) .

ومن هنا نتأكد لنا الفكرة التى أوردتها شقير بأن الخليفة التعايشى أمر النجومى ، فسلم جميع الأسلحة إلى يونس الحكيم ولم يبق مع النجومى إلا الجيوش والأمراء الذين لا يأمن الخليفة جانبهم ولا يهملهم إن عاشوا أو ماتوا ، وبقي يونس فى دنقلة بجيش قوى بحجة المحافظة على دنقلة ونجدة النجومى عند الاقتضاء ، متوقعا للنتيجة ، حتى إذا فاز النجومى لحقه وانتقم بنصره وإلا بقى الجيش المصنفى فى دنقلة (٤٣) .

أجابه النجومى فى اليوم التالى ١٧ يوليو بأن حضورهم ليس إلى بمبان فقط من أجل الماء وإنما إلى مصر لإدخال أهلها فى الدين : فمن صدق واتبع وسلم الأمر لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ومهديه " عم " وخليفته عليه الرضوان وسلم جميع ماكان معه من الأسلحة والجبائين أمناء على نفسه ... ومن خالف .. فالسيف حتى يحكم الله بيننا وبينه وهو أحكم الحاكمين (٤٤) .

موقعة طوشكى ١٣ أغسطس ١٨٨٩ : (٤٥)

ولما رأى السردار إصرار النجومى رجع إلى أسوان وحشد الجيوش لمواجهة فى طوشكى . وفى ٢٢ يوليو وصل إلى معسكر المصريين المدعو حسين حبشى فارا من جيش السودان وناقلا لجرانفيل المعلومات الكافية عن حالة جيش النجومى المتردية ، وفى ٢٥ يوليو وصلت إلى النجومى التجذات وهى عبارة عن خمسمائة مقاتل وثلاثمائة بنذقية (٤٦) . وبدأ النجومى الزحف ثانية إلى الشمال فى ٢٨ يوليو بعد ما توقف فى بلاجة ثمانية عشر يوما .

عندما علم ودهاوس بتحرك النجومى خرج بعساكره وأتى طوشكى ، خاف الجنرال ودهاوس من الدخول فى معركة ثانية مع الإنصار قبل أن يتأكد من تفوقه العسكرى فطلب المعونة من القاهرة وكان جرانفيل قائد الجيش قد حشد الجيوش المصرية ، تقدم من أسوان ووصل طوشكى فى ٣١ يوليو ١٨٨٩ (٤٧) . وفى أول أغسطس وصل النجومى إلى الجبال

المحيطة بطوشكى وعسكر على سطحها الغربى ليكون بمأمن من مدافع البواخر النيلية التى تطارده (٤٨) . وفى أغسطس وقعت معركة وهى من المعارك الحاسمة فى التاريخ العسكرى للمنطقة دامت خمس ساعات من الساعة السادسة وخمس وأربعين دقيقة إلى الساعة الحادية عشرة والثلاثين دقيقة صباحا ، عندما حاول النجوى أن يجمع شتات جيشه ليكر ثانية على المصريين ، لم يلبث أن أصابه الرصاص فسقط مجنولا على الأرض ومات (٤٩) . وانهزم الدراويش بعد ذلك .

وقد امتاز فى هذه الحملة من الضباط المصريين البكباشى على بك حيدر باور السوارى وحسين أفندى رضوان من الطوبجية ومصطفى أفندى رمزى أركان حرب ، ومن الملكيين عبدالله أفندى فكرى وإبراهيم أفندى زيدان مترجم الحدود ونحلة أفندى تادرس مترجم الأورطة الحادية عشرة السودانية وحضر منهم ميدان القتال ملحم بك شكور وطنوس أفندى شحادة وإبراهيم أفندى زيدان (٥٠) ، بالإضافة إلى قبيلة العباددة فقد وقف أحمد بك حسين خليفة وأخوه ياسين بك وجماعة من قبيلتهم ومعهم مائة جمل مساندين لجيش الحكومة فى هذه الموقعة (٥١) .

وتبدو أهمية هذه بأن البريطانيين اعتبروها أول نصر لهم على السودانيين ، وغطوا بهذا النصر الهزائم التى ألحقها بهم عثمان دقنة فى شرق السودان ، وارتفعت الروح المعنوية عند البريطانيين والمصريين فى نضالهم ضد السودانيين .

وبهذه المعركة تكون تحطمت نهائيا آمال الخليفة التعايشى وتبددت أحلامه لقد اقتضت المغامرة المصرية فى النهاية ثمنا باهظا ، فلقد خسر الخليفة ذلك الملك الذى عمل ثلاث عشرة سنة بعزم لتأسيسه فى السودان .

ومنذ ذلك الحين زال الخطر لعدة سنوات تالية عن حدود مصر الجنوبية ، فقد هدا الخليفة التعايشى ، ولأول مرة منذ عام ١٨٨٥ ساد الهدوء التام منطقة الحدود الجنوبية ، وتأيدت الثقة فى حسن استعداد الجيش المصرى الجديد ، وقد علق كرومر على آثار هذه المعركة فقال : " لقد أسفر انتصار طوشكى عن نتائج مهمة ، فقد وخز " فقأ " هذا الانتصار فقاعة المهديّة ، وأبان أن الدراويش قد لا يزالون أقوياء لأغراض الدفاع فى صحاريهم النائية وغير

المضيافة ولكنهم لم يعودوا يبعثون على الخوف كمهاجمين أو معتدين ، لقد أعطى هذا الانتصار الثقة للجيش والشعب المصرى ولأوروبا (٥٢) .

بعد هذا النصر عاد الجيش المصرى إلى سرس فى ١١ أغسطس ١٨٨٩ وأمكن ترميم الخط الحديدى بينها وبين حلفا ، وكان الدراويش قد جعلوا حدودهم الشمالية فركة ، فلما رأوا الحكومة المصرية قد احتلت سرس تراجعوا إلى سوراده ، على مسافة مائة ميل من سرس وبقوا فيها إلى أن طردتهم الحكومة المصرية منها عام ١٨٩٦ .

وفى أكتوبر ١٨٨٩ أصدرت الحكومة المصرية منشورا إلى أهل السودان تستحثهم فيه على الرجوع إلى الولاء وأرسلته مع بعض أسرى طوشكى ، وقد جاء فيه : " فاعتنموا هذه الفرصة الجليلة وقدموا لأعتاب حكومتكم الخضوع تقبضوا بالمساعدات الجمّة والنعم الجزيلة" (٥٣)

وفى عام ١٨٩١ بلغ صالح بك خليفة أمير عبادة المليكاب أن الدراويش فى أبى حمد يستعدون للهجوم عليه فرأى أن يبادرهم هو بالهجوم ، فجهز رجاله وهاجم أبى حمد بغتة وقتل قائد رجال المهدي سليمان ودقمر فى هذه المعركة التى ظهر فيه النصر لصالح بك خليفة ، فجار الخليفة بعد هذه الواقعة على المليكاب الموجودين فى السودان وصمم على أن يثأر من صالح بك خليفة .

وفى ١٢ أبريل ١٨٩٢ عين كتنشر سردارا للجيش المصرى واسترجعت الحكومة دفقلة وسائر السودان بدأ من عام ١٨٩٦ ، إن بقاء الجيش المصرى فى سرس والمهدين فى سواردة جعل المهدين يغيرون على مناطق الحدود المصرية بالسلب والنهب ففى ٤ أبريل ١٨٩٢ أغاروا على سرس القديمة وفى ٢١ مايو أغاروا على منطقة سر الغرب شمالى حلفا وغنموا خمسين رأسا من الماشية ، وفى ٢٥ نوفمبر غزا جماعة الإنصار على بلدة قسنتل فقطعوا خطوط التلغراف بين كورسكو وحلفا .

موقعة امبقول :

لما رأى الدراويش أن السلطات المصرية لا تعير انتباهها الكلى لغزو سرس ، خربوا سكة الحديد سرس وحلفا وقدموا جهة امبقول حيث كانت هناك موقعة فى ٢ يناير ١٨٩٣

خسر فيها الدراويش ، ومن أبطالها المصريين الصانع فؤاد أفندى قومنداي الهجانة التي كانت مقسومة فرقتين :- الهجانة المصرية وعليها الملازم محمد أفندى بزكات - الهجانة الشايقية وعلى رأسهم سليمان أفندى عبدالله ، وحقق المصريون النصر .

غزوة بريس - يوليو ١٨٩٣ :٥٤

علم أمير دنقلة يونس الدكيم أن واحة بريس فيها خير كثير فجهز حملة لغزوها بقيادة عثمان الأزرق ، الذي رأى في طريقه آثار قافلة مصرية متوجهة من سوهاج إلى وادي النطرون ، فغزاها ثم تابع الأزرق تقدمه إلى بريس حيث دخلها ونهب ما استطاع نهبه ، وكان أهالي المنطقة قد اتصلوا بمعاون الخارجية الذي استند بدوره بمديرية أسبوط فأرسلت له الجند لتهدئة روح الأهالي ، وخصصت الحكومة خمسة آلاف جنيه لتنفق على حماية الواحات فبنى العساكر طابية بريس وطابية في الخارجة ، ومد خط تلغرافى من الخارجة إلى جرجا ، وأقيمت نقطة من قبائل الكبابيش في بير الشب غربى حلفا على طريق الأربعين (٥٥) .

بقى الخليفة يتحين الفرص للقضاء على زعيم المليكان العباددة صالح بك ، وتوجه الأزرق أمير دنقلة بستمائة مقاتل إلى آبار المرات لضرب صالح بك الذى كان معه عشرة رجال مسلحون بالبنادق ، وقتل صالح بك فى المعركة وتولى أخوه عبدالحفيظ قيادة العباددة الذين استطاعوا الصمود حتى الليل وانسحب الدراويش إلى دنقلة ، وقد أوصت الحكومة المصرية بعائلة صالح بك وأجرت لها مرتبا حتى بلوغ أولاده سن الرشد ، وبنت طابية حصينة فى المرات فى ديسمبر ١٨٩٣ (٥٦) . وفى هذا الموقف يظهر لنا حسن رعاية الحكومة المصرية لأبنائها على حدودها الجنوبية وحفاظها على مصالح رعاياها .

فى الطريق إلى دنقلة ١٨٩٦ : (٥٧)

الظروف المؤدية للحملة :

كانت حالة مصر السياسية والاقتصادية من ضمن العوامل المهمة فى انتشار ثورة المهدي ، وكانت إنجلترا ترى أن مصلحتها تقتضى عدم التدخل فى السودان ؛ لأنها لا تريد أن تدخل نفسها فى إرباكات جديدة خاصة وأنها كانت تود الخروج من مصر التى كانت بوضع الإفلاس ، والأهم من ذلك أن بوادر التكاليف الاستعمارية على القارة الإفريقية لم تكن قد ظهرت بعد .

وعندما بدأت ألمانيا تنافس إنجلترا فى صناعتها ، وارتبط التوسع التجارى بالتوسع الصناعى ، واستتبع ذلك التوسع فى السياسة الاستعمارية ، هنا رأت إنجلترا أن من مصلحتها تغيير سياستها نحو مصر ، وبالرغم من وعودها المتعددة بالجلء صممت على الاحتلال الدائم بعد أن ازداد الخطر الاستعمارى على وادى النيل من الجنوب والشرق ، فمن الجنوب فرنسا فى إفريقيا الاستوائية ، ومن الشرق إيطاليا فى إريتريا وكسلا .

وعندما نشبت الحرب بين إيطاليا والحبشة ، وانتصرت الحبشة فى ١٨٩٦/٣/١ فى موقعة عدوة ، استجندت إيطاليا بإنجلترا لكى يقوم الجيش المصرى بمناورة عسكرية من حلفا أو سواكن لجذب أنظار الخليفة بعيدا عن كسلا ولمنع اتحاد دولتين إفريقيتين من القضاء على نفوذ دولة أوروبية ، لذلك رأت السياسة البريطانية أن تلبى النداء وتضطاد عصفورين بحجر واحد ، وذلك بالقيام بحملة تسترجع بها دنقلة وفى الوقت نفسه تساعد إيطاليا (٥٨) .

كان الدراويش يتحينون الفرص للإغارة والغزو على المنطقة الحدودية ، ويرجعون قبل أن تتركهم العساكر المصرية ، فألقوا سكان المنطقة الحدودية شرقا وغربا (٥٩) ، استعد قائد الجيش المصرى كتشنر حربيا وهندسيا ، وسخر كل القوى لإعادة فتح السودان وذلك ببناء خط حديدى (٦٠) يمتد من حلفا ويتجه جنوبا ليستعوض به عن نقل الجمال البطيء ويؤمن خطوط تموين مواصلاته .

قام كتشنر سردار الجيش المصرى بقيادة الحملة بنفسه ، وكان الجيش يتكون من وحدات مصرية وأخرى سودانية ، واستعرض الخديوى آخر فوج يرحل إلى الحدود فى القاهرة يوم ١٥ مارس ١٨٩٦ ، ومن هنا تتضح السرعة التى اتسمت بها العمليات الحربية لاستعادة السودان ، فبينما كان رئيس وزراء بريطانيا ووزير خارجيتها اللورد سالسبرى يصرح فى آخر فبراير ١٨٩٦ بأن أسلم سياسة لبريطانيا فيما يتعلق بالسودان هى الانتظار والترقب نجد أن موقف بريطانيا بعد هزيمة إيطاليا فى الحبشة يودى بها إلى بدء العمليات الحربية فى فترة نصف شهر من حادثة عدوة .

وفى ١٨ مارس ١٨٩٦ صدرت الأوامر بإرسال العساكر إلى عكاشة وتأسيس نقط حربية بينها وبين حلفا ، وبدأ الخط الحديدى بطريق الصحراء ، وفى ٢٩ مارس وصل قائد الجيش إلى حلفا بأركان حربيه وبدأ يستعد للمعركة .

ولما علم الدراويش بتحريك الجيش إلى عكاشة ، تقدموا من سواردة إلى كوشة واحتلوها
فى ١٢ أبريل ١٨٩٦ ، ثم تقدموا إلى فرقة واحتلوها فى ٢٨ منه ، وأرسل أمير دنقلة محمد
بشارة المساعدات إلى الدراويش فى فرقة فأصبح عددهم ألف وستمائة وخمسين رجلا .

ولما صدر الأمر بالحملة على دنقلة كان مجموع قوة الجيش المصرى ١٦٦٨٠ (٦١) رجلا
منهم نحو سبعمائة ضابط ، كما كان فى خدمة الجيش نفر من قبائل العباددة والكبابيش
والعليقات زاد عددهم على أكثر من ألف شخص وحصنت بهم فقط الصحراء الشرقية
والغربية (٦٢) .

وكان ود بشارة مقيما فى دنقلة له الإدارة المدنية والعسكرية فى حين كان فى فرقة قوة
مرابطة تابعة له تحت قيادة حمودة إدريس ، وكانوا قابعين فى فرقة ينتظرون ملاقة كتشنر
ولم يسمحوا لأنفسهم بغارات خاطفة على قوة كتشنر وهى تمد الخط الحديدى لتسهيل خط
مواصلاته ، وذلك أن قوة حمودة لم تتعد الثلاثة آلاف معظمهم من قبائل الغرب (٦٣) .

ظل المهندسون يعملون فى تمديد الخط والذخائر والمؤن تتجمع فى حلفا ، والجيش
الهندي تحل محل الجيش المصرى فى سواكن ، وتسنى بذلك لكتشنر أن يحشد قوة تبلغ
العشرة آلاف رجل على أتم الاستعداد من حيث التدريب والأسلحة والمؤن .

وفى أول مايو تحرك كتشنر من حلفا إلى عكاشة ، واشتبكت دورية من الجيش مع قوة
كبيرة من الأنصار جنوبى عكاشة وكان غرض الأنصار جر عساكر عكاشة إلى الصحراء
للإيقاع بهم ، واستطاعت العساكر المصرية أن تتخلص من هذا الكمين وترجع إلى معسكرها
بعد إصابات قليلة نسبية (٦٤) .

ويقال بأن قائد الدراويش فى المنطقة حمودة إدريس أظهر بعض الجبن فشكاه الأمراء إلى
أمير دنقلة محمد بشارة فعزله وسمى عثمان الأزرق مكانه .

موقعة فرقة :

قرر السردار المصرى طرد الدراويش من فرقة لاعتراضهم حملات النقل ومحاولاتهم
منع العمل فى سكة الحديد ، وقد صمم على مهاجمتهم بطريق الصحراء وطريق النيل معا .

تحرك كل الجيش من عكاشة في ٦ يونيو لبياعت الأنصار فى فركة ، ولا يترك لهم مجالا للانسحاب ، وكانت الانتظار متجهة لهذا اللقاء الأول ، فهو الامتحان الثانى بعد واقعة طوشكى للجيش الجديد(٦٥) ، وكانت الظروف كلها تدل على أن النصر سيكون فى صالح الجيش المصرى(٦٦) . وفى فجر السابع من يونيو ١٨٩٦ اقترب الجيش من فركة ، والدراويش إذ ذاك يؤدون صلاة الصبح فما شعروا إلا والقنابل تنصب عليهم من كل جهة ونشب قتال عنيف دام حوالى ساعتين ، وحوالى الساعة السابعة انتهى الأمر وتغلب الجيش المصرى على جند المهديّة ، وتنفس كتشتر الصعداء فقد كسب الجيش الجديد المعركة .

بعد هذه المعركة أقام قائد الجيش المصرى معسكرا فى جنوب فركة ثم انتقل إلى كوشة وجعلها مركز الجيش واهتم بإتمام سكة الحديد إليها ، ونقل البواخر وأرسل من فركة إلى أهل السودان منشورا مبينا فيه بطلان الدعوة المهديّة وأن الحكومة المصرية أتت لانتشالهم من الظلم الذى أوقعهم به التعايشى ذلك الخليفة الذى كان لا يملك شروى نقيرة : .. استأثر بأموال الرعية كلها وسكن القصور المشيدة واتخذ نساء المؤمنين سرارى له واستحل وطأهن بلا عقد ولا ملك يمين . ويبين أيضا السياسة الخاطئة التى اتبعها التعايشى بإقصاء آل المهدي عن الحكم وتعيين عشيرته وأقاربه : " .. وقد سجن الخليفة شريفا وأهان الخليفة ودخلو وأولاد المهدي وقتل إبراهيم عدلان وأقارب المهدي مثل عبدالقادر ودساتى ومحمد عبدالكريم " .

فى هذا الوقت هاجمت الكوليرا الزاحفة عليهم جنوبا من مصر مارة بأسوان وحلقت ثم عبرت محطات الخط الحديدى وحلت بالمعسكر الذى انتقل جنوب فركة وحصدت ثمانمائة من الجنود والمدنيين ، ثم تقشى فى الجيش حمى التيفود وأخذت نصيبها منه .

وفى أوائل أغسطس اهتم السردار بإتمام السكة الحديدية إلى كوشة وأخذ الجيش ينقل عليها المؤن والذخائر واكتملت سلسلة المأسى التى أصابت الجيش بدءا بالكوليرا ثم التيفود وانتهت بانفجار خزان باخرة جديدة أنزلت إلى الماء قصد تجربتها فتأخر فى كوشة مدة(٦٧) .

وفى ٢٧ اغسطس هطلت الأمطار بغزارة شمالى عكاشة وخربت عشرين ميلا من سكة الحديد بين المرات وسرس وأمر السردار جميع من توفر لديه من العساكر بإعادة بناء الخط واستأنف السردار ترحيل العساكر جنوبا ، واجتمع الجيش كله مع البواخر فى دلقو فى ١٣ سبتمبر ١٨٩٦ .

موقعة الحفير :

وفى ١٦ سبتمبر تحرك الجيش المصرى باتجاه الكرمة ووقف مقابل الحفير ، حيث علمت استخباراته أن ود بشاره بنوى الصمود والمنازلة ، ولكنه عبر إلى الضفة الغربية ، حين علم أن قوة الجيش المصرى تقوِّفه عدداً وعدة ، فتحصن فى الحفير عند الشلال الثالث .

اجتازت البواخر المصرية حصون الأنصار بعد ما جرى تغطيتها بنيران كثيفة ، واستطاعت هذه البواخر أن تسير باتجاه دنقلة الأمر الذى جعل ود بشاره يظن أن كتشتر بنوى الزحف جنوبا بالضفة الشرقية ، وتحت حراسة جنوده وحماية بواخره يعبر إلى دنقلة فى الضفة الغربية فأخلى بشاره الحفير بسرعة ليرابط ويدافع عن دنقلة عاصمته .

وفى هذا يقول شقير : " وكان مروونا بالحفير تحت قنابل العدو ورصاصة مخاطرة شديدة لكن السردار رأى أنه لا بد من هذه المخاطرة لأنه أراد أن يزحزح الدراويش من الحفير ويعبر إليها بالجيش فيهاجمهم فى ديمهم وقد فاز فى تدبيره هذا كل الفوز ، فإن الدراويش لما رأوا البواخر تجاوزت الحفير قلقوا أشد القلق على ديمهم وعيالههم التى تركوها فيه ، وكان مدير المخابرات قد أرسل إليهم رسلا من أهل البلاد فأشاعوا أن الجيش لاحق بالوابورات فى البر الشرقى ليعبر بها إلى دنقلة ويستولى على الديم ، وأنه لم يبق إلا الطويجية لمشاغلهم فازداد قلقهم وما أرحى الليل سدوله حتى أخلوا الحفير وأسرعوا إلى ديمهم فى دنقلة فوصلوه فى صباح ٢٠ سبتمبر " (٦٨) .

فى فجر هذا اليوم عبر الجيش المصرى إلى الحفير فى الضفة الغربية وواصل زحفه جنوبا نحو دنقلة ليحاصرها من الجانب الصحراوى وتصلها البواخر من الناحية النهرية ، وقبل أن يطل الجيش البرى الزاحف على دنقلة كان أسطول الخديوى يطلق قذائفه على أنصار المهدي ، ثم ظهرت بشارت الجيش وبدا كأن المدينة ستقع بين فكى كماشة ، وعندما تبين لود بشاره ضعف موقفه بعد لقائه مع أمراء جيشه وعدم قدرته على رد الجيش المصرى إلى مصر ، كان قرار الانسحاب إلى الدبة تمهيدا لطلب النجدة من أم درمان (٦٩) .

الدخول إلى دنقلة :

قرر ود بشاره الانسحاب إلى الدبة ومنها تراجع فى ٢٤ سبتمبر عبر صحراء البيوضة للوصول إلى المنمة ٧٠ ، ودخل الجيش المصرى إلى دنقلة ورفع العلم المصرى على بناء

المديرية ، وكان قد طوى قبل أحد عشرة سنة ، وتعقب الجيش المصرى الأنصار وتقدم إلى
جهات دنقلة يحتلها دون مقاومة حتى وصل مروة .

الدخول إلى مروة :

وانتهت مهمة الجيش المصرى باسترجاع مديرية دنقلة ، وغادر كتشنر دنقلة إلى إنجلترا
ليدافع عن قضية استمرار الزحف ومحاربة المهديّة فى عاصمتها أم درمان ؛ لأن الخطط
الحربية تقضى بالاستمرار ولأن الجيش قد ابتعد عن قواعده ، وسوف تتعرض خطوط
مواصلاته لهجمات من الأنصار ، بل إن مواقعهم فى دنقلة أصبحت مهددة أكثر بالانقضاء
عليهم من جهات عدة ، وبهذا بدأ كتشنر حملته الهادفة للقضاء على المهديّة فى السودان ،
وتابع طريقه باحتلال الدبة فى ٢٤ سبتمبر ١٨٩٦ ، وكان ود بشاره قد أرسل مشايخ السكوت
والمحاس إلى الدبة بنية إرسالهم إلى أم درمان خوفا من انضمامهم إلى الجيش ، فلما رأوا
الجيش المصرى أقبلوا عليه يرحبون به ، وفى ٣٠ سبتمبر وصل السردار كتشنر مع نجيب
بك وسلاطين باشا إلى المروة .

وقد امتاز فى هذه الحملة من الضباط المصريين : القائمقام محمد بك بكير من الطوبجية
وعبدالجواد بك برهان قائد الأورطة الخامسة ومحمد بك خلوصى قومندان الأورطة الثامنة
وسليم بك موصلى من القسم الطبى .

ومن رتبة بكباشى : أحمد أفندى زكى وإسماعيل أفندى همت ، وعبدالسلام أفندى زكى
من أركان حرب ، وحسين أفندى شريف من السوارى ، ومحمد أفندى مختار من الطوبجية
وإبراهيم أفندى صبرى من الأورطة الأولى ، ومحمد أفندى رفعت من الأورطة الخامسة
وعثمان أفندى عفت من الأورطة السابعة ، ومصطفى أفندى فكرى من الأورطة الثامنة ،
وإبراهيم أفندى ذهنى من الأورطة الخامسة عشر .

وامتاز من القسم الطبى أحمد أفندى فضلى والصاغ حسين أفندى طلعت ومحمد أفندى
المهدى ، عند انتشار الكوليرا (٧١) .

هناك عامل آخر لعب دوره المهم أيضا فى التاريخ العسكرى لجنوب مصر ، وهم القبائل
الذين انتشروا فى المنطقة الحدودية ، ومنهم قبائل البجة ومنها البشاريون ، وكذلك قبائل

الكبابيش والهواوير إلا أن أهمها قبائل صحراء النوبة ومنها النديجة والكنوز وكذلك قبائل العباددة .

ولهذه القبائل دور مهم تعدى مرحلة إمداد الحملات بالجمال ، وتأمين المواصلات ، إلى مرحلة سياسية كتولى الوظائف القيادية أو القيام بعمليات عسكرية مساندة ، أو إنقاذ أسرى سياسيين كانت المهديّة تحتفظ بهم ، وباستعراض بسيط لبعض هذه القبائل أذكر :

البشاريون :

البشاريون : وهم قسمان : بشاريو الشمال (أم على) وبشاريو الجنوب (أم ناجى) ويعيش بشاريو الشمال بين البحر الأحمر وأسوان ، ولهم تجارة مع مصر فى الإبل التى يبيعونها لكى يشتروا حاجتهم من الجنوب وبعضهم يشتغل فى مناجم الذهب بوادى العلاقى .

فيقول ساندرز فى مقالته عنهم إن الحكم المصرى كان رفيقا لهم ولم يحاول قهرهم أو السيطرة التامة عليهم ، بل كان يكثر من مجاراتهم على أهوائهم ما داموا مسالمين بعيدين عن كل عدوان والضرائب المفروضة عليهم كانت خفيفة .

وفى عهد المهديّة كانت أوضاع بشاريى الشمال الموجودين فى مصر مختلفة عن أوضاع بشاريى الجنوب التابعين للحكم المهدى والذى حاول إخضاعهم ونجح فى ذلك . وحاولت المهديّة توحيد بشاريى الشمال والجنوب تحت سلطة رجل واحد ولكن ذلك لم يتم ؛ لأن رؤساء العشائر لم يكونوا متحمسين لذلك (٧٢) .

كما شهد جنوب مصر هجرات نوبية وخاصة من المحس والسكوت هربا من الإرهاق فى زمن الدولة المهديّة ، واتجهوا شمالا إلى وادى حلفا ونزلوا بينها وبين كروسكو ، وهؤلاء هم الفديجة . وبفضل هذه الهجرة أصبح للمحس والسكوت أوطان داخل حدود مصر كما هى حال قبائل الكنوز (٧٣) الذين يعيشون فى الجزء الممتد من كروسكو لأسوان .

الكبابيش :

وكان لقبيلة الكبابيش التى عاشت فى الصحراء شمالى كردفان موقف معارض للمهديّة ، وكان المهديون قد أعدموا شيخهم السابق فقام أخوه الشيخ صالح فضل الله وسالم الكباشى

بالثورة على المهديّة ، وقدموا المساعدة لحملة إنقاذ جوردون ١٨٨٤ . وكان الكبابيش يطمعون في الاستيلاء على مديرية دنقلة أكثر من الثورة لإسقاط الخليفة . وقد تلقى ثوار الكبابيش مساعدة من الحكومة المصرية عبارة عن قافلة محملة بالبنادق والذخيرة .

العبادة :

إن أهم القبائل التي لعبت دورا في التاريخ العسكري جنوب مصر قبائل العبادة الذين اخترتهم كمثال لقبائل المنطقة لولائها للحكم المصري ، فالعبادة كان لهم دورهم في بناء الخط الحديدي حلفا - أبي حمد الصحراوي . فهم الذين يسيطرون على آبار المرات وقواتهم بقيادة عبدالعظيم بك حسين خليفة بقيت موالية للحكومة المصرية . فقد ساهم عبدالعظيم بك في موقعة أبي حمد في ١٧ أغسطس ١٨٩٧ . حيث طلب منه السردار أن يوافي هنتر باشا في أبي حمد فوافاه إليها بأربعين رجلا (٧٤) . كما أن تمركز العبادة بين مصر والسودان جاء في موقع استراتيجي هو منطقة بربر التي كانت محطة تموين ومركز حشد لمعدات الحرب .

لعب العبادة دورهم بحنكة عندما وجدوا أنفسهم في خضم أحداث الثورة المهديّة وفي موقف لا يحسدون عليه . وكان زعيمهم آنذاك حسين باشا خليفة الذي كان يدين بالولاء للإدارة المصرية ، فإذا به يجد نفسه أمام تيار جارف للمهديّة يكتسح السودان ويصل إلى شماله حيث معتقل العبادة ، وأنه لا محالة أن يكون من الغارقين فيه " وللحقيقة التاريخية نقرر أن حسين باشا خليفة العبادة قد أثبت إخلاصه للإدارة المصرية رغم هزيمته في بربر على يد رجال المهديّة ، وسوقه إلى المهدي ليلاقي جزاء إخلاصه لهذه الإدارة .

وقد استطاع هذا الرجل بما أوتي من دربة وحنكة أن يقتنع رجال المهدي بإخلاصه لهم وأنه سوف يحاول تقديم خدماته لهم ، لكنه لم يفعل ، وحين قدم للمحاكمة لم يجدوا ما يدينه فبرئ بل وأعيد للعمل في الإدارة المصرية حتى وفاته .

يمكننا أن نعتبر العبادة مفتاحا لفهم الشخصية المصرية والسودانية وعاملا مهما للتقارب بين الشعبين المصري والسوداني ... فالعبادة من خلال مصالحهم التجارية ومصاهرتهم للسودانيين ووجود عائلات منهم مشتركة بين مصر والسودان على امتداد التاريخ يمكنهم أن يلعبوا دورا مهما لايجاد لغة حوار مشتركة (٧٥) .

أختم بالقول بأن الضربة التي تلقاها الجسم العسكرى المصرى بعد أحداث عرابى من تسريح لعناصره ونفى لضباطه ، جعل الكثير يعتقد بأن إعادة بناء هذا الجسم هى مهمة صعبة ؛ لأن العقلية الفلاحية لهذا الشعب لا تسمح ببناء هيكلية عسكرية قوية وبصورة سريعة. وثبت العكس عندما أعيد بناء الجيش المصرى فى فترة قد تزيد عن السنتين ، واستطاع هذا الجيش أن يخوض غمار حرب السودان عام ١٨٨٤ .

وإذا اعتقدت القيادة البريطانية بأن هذا الشيء تم بقدرتها ، إلا أننا لا نستطيع أن نتغاضى عن تصريحات هذه القيادة بكفاءة الجندى المصرى والتزامه بتنفيذ الأوامر وصموده .

الهوامش

- ١- الأمير عمر طوسون : بطولة الأورطة السودانية المصرية فى حرب المكسيك - الإسكندرية ١٩٣٣ . وقد ورد فى ص ١١ رسالة قائد فيراكروز إلى القائد العام عن معركة نشبت فى ١٢ أكتوبر ١٨٦٣ : لقد كلل هذا القتال رؤوس السودانيين المصريين الذين قاموا بأعبائه بأسمى أكاليل الفخر فإنهم لم يبالوا بالنار المنصبة عليهم من الأعداء وردوهم وهم يزيدون فى العدد عليهم تسع مرات على أعقابهم مدحورين .
والجدير بالذكر أن عدد هذه الأورطة كان ٤٥٣ وعادت وعددها ٣١٣ - وقد استعرضها بعد عودتها الإمبراطور نابليون الثالث فى ٢ مايو ١٨٦٧ .
- ٢- حسبنا فى تأييد هذا القول أن نورد البراءة التى أصدرتها المحكمة العسكرية البريطانية فى قضية تسليم الخرطوم ومحاكمة قائد الألائى الخامس المصرى فى الخرطوم حول مسئوليته فى سقوط الخرطوم فقد جاء فى قرار المحكمة : " أنه لم تكن هناك أية خيانة ، وأن رجال جوردون البسطاء من المصريين والسودانيين الموالين لمصر قد قاسوا معه أشد أنواع المقاساة دون أن يشوروا - راجع جلال يحيى : مصر الأفريقية والأطماع الاستعمارية فى القرن التاسع عشر ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٤٣٣ .
وأن ننوه ثانية بشهادة جهر به اللورد كتشنر بعد زيارته الخرطوم عام ١٩٠٢ تلبية لدعوة الضباط المصريين فى السودان ، خطب كتشنر يصف المآزق التى مر بها فى حرب البوير ويقول : " كثيرا ما فكرت وأنا فى تلك المآزق فى شجاعى المصريين وتمنيت أن

يكونوا إلى جنبي عبدالرحمن زكي : تاريخ الجيش المصري ؛ وزارة الدفاع ، المتحف
الحربي ، القاهرة ١٩٣٩ ، ص ١٢ .

٣- عن حملة إسماعيل ومساعدة قبائل أولاد علي والعبادة له لفتح السودان راجع عبدالرحمن
زكي : التاريخ الحربي لعصر محمد علي الكبير ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٠ ،
ص ٩٨ وما بعدها .

٤- HOit.P.M : A Modern History of the Sudan (From the FUNJ Sultanate to
the present day); Weidenfeld and Nicolson, London 1961, Second ed., Part
II, ch : 6 , pp . 77 - 91 .

وكذلك راجع .

Obert Voil . John : The Sudan ; Unity and Diversity in a Multicultural state ,
Croom Helm, London 1985, pp. 39 - 17 .

٥- محمد فؤاد شكرى : الحكم المصري في السودان ١٨٢٠ - ١٨٨٥ ، دار الفكر العربي
١٩٤٧ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

٦- " The Egyptian fellaheen had been metamorphosed by the British officers
into a reliable and courageous soldiery " Alford : Henry . 5 . L . the
Egyptian soudan its loss and Recovery Negro Universities press . New york
1969 . P . 34

٧- مكى شببكة : تاريخ شعوب وادي النيل ، مصر والسودان في القرن التاسع عشر
دار الثقافى بيروت ١٩٦٥ ص ٦٦٤ ، انظر أيضا المؤلف : مختصر تاريخ السودان ،
ص ٥٣ .

٨- جلال يحيى : مصر الأفريقية والأطماع الاستعمارية في القرن التاسع عشر ، دار
المعارف ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٤١٢ .

٩- المرجع السابق ، ص ٤١٦ .

١٠- مكى شببكة : تاريخ شعوب .. مرجع سابق ، ص ٦٧٠ .

١١- سلاطين باشا : السيف والنار في السودان . والذي أورد فيه قصة أسرته عند المهدي ثم
عند خليفته وبعد ذلك قصة فراره . ويعتبر هذا الكتاب مصدرا لتاريخ السودان في عصر
المهدية - ص ١٢٧ .

١٢- جلال يحيى : مصر الأفريقية ، مرجع سابق ، ص ٤٢٣ .

١٣- بلغ الغضب بجوردون منتهاء وأمر بحرق هدية الجبة بعد أن ركلها برجله وأملى خطاباً ترجم بالعربية إلى محمد أحمد المهدي تهجم فيها عليه وهدده . وزاد جوردون على ذلك بأن أمر حشداً من علماء المسلمين ليكتبوا تكذيباً لدعواه المهدية .

١٤- ميمونة حمزة : حصار وسقوط الخرطوم : جامعة الخرطوم ١٩٧٢ ، ص ١٠٤ ، وما بعدها .

١٥- وكان جوردون يحتقر سلاطين باشا ورجال حملة هكس الذين اعتنقوا الإسلام والموجودين عند المهدي ولم يرد على مراسلاتهم العديدة له للتعاون معه .

١٦- المئمة تقع على النيل غربي شندى جنوبى بربر شمالى أم درمان .

١٧- أورد سلاطين باشا فى كتابه السيف والنار ... أن المهدي كان يريد جوردون حياً ليفتدى بعرايى . ولم ترد هذه الرواية فى أى مصدر آخر . وعن الانعكاسات الناتجة عن موت جوردون راجع :

- Fabunmil . A : The Sudan IN Anglo - Egyptians . (A Scse Study IN Power Pplitics) 1800 - 1956 Longmans - London - 1960 P : 11

- Magnus . Philp : Kitchener : Poruait of an Imperialist . London : John Murray 1958 P . 61 .

١٨- مكى شبكة مختصر تاريخ السودان ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٦٨ .

١٩- عن العلاقات الدولية لهذه الفترة راجع Magnus : Kitchener . p . 61

٢٠- جلال يحيى ، مصر الأفريقية ، مرجع سابق ، ص ٤٧٢ .

٢١- نعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودان ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ .

٢٢- عن موت المهدي راجع : Fabunmi , L . A : The Sudan p . - 16

٢٣- مكى شبكة : مختصر تاريخ مصر والسودان ، مرجع سابق ، ص ٧٠ .

٢٤- حمدنا الله مصطفى حسن : العباددة تحت الإدارة المصرية فى السودان ١٨٢٠ - ١٨٩٧ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٩١ ص ص ٧١ - ٧٢ .

٢٥- Holt . P . M . : A Modern History ... pp . 92 to 108

٢٦- HOLT . P . M : A Modern History ... pp . 92 . ff .

٢٧- Wingate F . R : Mahdism and The Egyptian Sudan second . Cass London 1968 . pp . 307 ff .

- ٢٨- راجع هذه التشكيلة وتفاصيل المعركة في شقير : مرجع سابق ، ص ٩٩٨ وما بعدها .
- ٢٩- محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان وتاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٣٩٢ - ٣٩٣ .
- ٣٠- الكلابشة تقع جنوبى أسوان على مدار السرطان مباشرة .
- ٣١- نعم شقير : مرجع سابق ص ١١٠٥ .
- ٣٢- تقع آبار المرات فى صحراء العيتمور فى منتصف طريق أبى حمد - كورسكو تقريبا .
- ٣٣- نعم شقير : مرجع سابق ص ١١٠٦ .
- ٣٤- تقع أرمنة على بعد ٥٠ ميلا شمالى حلفا .
- ٣٥- النوفيقية : مدينة استحكامات فى حلفا ، سميت بهذا الاسم نسبة إلى مسجد فيها بناء الخديو توفيق . راجع نعم شقير : مرجع سابق ، ص ٩٤ .
- ٣٦- نعم شقير : مرجع سابق ، ص ١١٠٦ .
- ٣٧- أرجين : بلدة مستطيلة على الجهة الغربية من النيل شمال وادى حلفا تمتد على النيل أربعة أميال فى وسط غابة من النخيل فى طرفها الجنوبى طابية صغيرة على نحو ٣ أميال من حلفا وفى طرفها الشمالى بيت العمدة ، راجع شقير : مرجع سابق ، ص ١١١٢ ، كذلك ضرار صالح ضرار ، : تاريخ السودان الحديث ؛ بيروت - دار الحياة ١٩٦٥ ص ١٨٤ .
- ٣٨- نعم شقير : مرجع سابق ، ص ١١١٢ راجع أيضا مكى شبكية : تاريخ شعوب ، مرجع سابق ، ص ٧٢٢ .
- ٣٩- محمد فؤاد شكرى مصر والسودان ، مرجع سابق ، ص ٣٩٣ .
- ٤٠- ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث ؛ بيروت - دار الحياة ، ص ١٨٤ ، نعم شقير : مرجع سابق ، ص ١١١٦ وحول هذا الموضوع راجع أيضا محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ؛ مرجع سابق ، ص ٣٩٣ - ومكى شبكية : تاريخ شعوب ، مرجع سابق ، ص ٧٢٣ وما بعدها وشبكية أيضا مختصر تاريخ السودان ، ص ٨٧ .
- ٤١- نعم شقير : مرجع سابق ، ص ١١٢٨ .
- ٤٢- المرجع السابق ، ص ١١١٧ .
- ٤٣- المرجع السابق ، ص ١١١٠ .
- ٤٤- شكرى : مصر والسودان ، مرجع سابق ، ص ٣٩٤ ، وكذلك شقير : مرجع سابق ، ص ١١١٨ .
- ٤٥- طوشكى : بلدة غربى النيل تبعد ٦٠ ميلا شمالى حلفا فيها نخل كثير وإلى جنوبها جبال

تبعد رابعة أميال عن طوشكى . راجع أيضا Alford . Henry .SL:The Egyptian Sudan ... P . 33 .

٤٦- شقير : مرجع سابق ، ص ١١٢٠ ، وشكرى : مصر والسودان ، مرجع سابق ، ص ٣٤٩ .

٤٧- راجع تشكيلات الجيش المصرى الإنكليزى المجتمع فى طوشكى بالتفصيل فى نعيم شقير ، مرجع سابق ، ص ١١٢١ .

٤٨- راجع تشكيلات الجيوش القتالية والخطبة التى اعتمدها جرانفيل لهذه المعركة ساعة بساعة مع الإحصائيات للقتلى والجرحى والغنائم والأسرى عند شقير ، مرجع سابق ، ص ١١٢٢ - ١١٢٧ .

٤٩- Wingate : F . R : Mahdism ... Book 10 pp . - 128 - 131

٥٠- شقير : مرجع سابق ، ص ١١٢٧ .

٥١- حمدنا الله مصطفى - العباددة ... مرجع سابق ، ص ٧٣ .

٥٢- محمد فواد شكرى : مصر والسودان ، مرجع سابق ، ص ٣٩٤ .

٥٣- شقير : مرجع سابق ، ص ١١٣٠ .

٥٤- تقع بريس فى الوادى الجديد على طريق الأربعين .

٥٥- شقير : مرجع سابق ، ص ١١٩٢ .

٥٦- المرجع السابق ، ص ١١٩٣ .

٥٧- Magnus . Kitchener P . 101

٥٨- شببيكة : مختصر تاريخ مرجع سابق ، ص ص ٩٥ - ٩٦ .

٥٩- Alford . Henry : The Egyptian Sudan pp . 134 ff

٦٠- ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث . بيروت دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٥ ص ٢٠٠ وما بعدها ، وكذلك مكى شببيكة : تاريخ شعوب ، ص ص ٧٥٧ - ٧٥٨ .

٦١- شقير : مرجع سابق ، ص ١١٩٩ .

٦٢- المرجع السابق ، ص ١٢٠٠ .

٦٣- شببيكة تاريخ شعوب ، مرجع سابق ، ص ٧٥٧ .

٦٤- المرجع السابق ، ص ٧٥٨ .

٦٥- Magnus : Kitchener . P . 97 انظر أيضا .

نعوم شقير : مرجع سابق ، ص ١١٩٣ حتى ١٢٠٦ ، وفيه ذكر الخطط والوقائع وتأليف إدارة الجيش كذلك والقبلى والأسرى والغنائم . لذلك راجع عن الموقعة مكى شببيكة :

تاريخ شعوب ، مرجع سابق ، ص ٧٥٨ وشبيكة أيضا مختصر تاريخ السودان
ص ٤٣٥ - ٤٣٦ .

٦٦- ضرار : مرجع سابق ، ص ٢٠٠ وما بعدها ، والجدير ذكره أن سلاطين باشا الذى كان
قد استطاع الفرار من الأسر شارك فى هذه الحملة وكانت بينه وبين الخليفة مراسلات .
راجع شقير : مرجع سابق ، ص ١٢١٩ - ١٢١١ .

٦٧- لمعرفة أسماء الواورات التى عبرت الشلالات فى هذه الفترة ، راجع شقير ، مرجع
سابق ، ص ١٢١٠ .

٦٨- نعوم شقير ، مرجع سابق ، ص ١٢١٤ .

٦٩- حول هذا الموضوع راجع شقير ، مرجع سابق ، ١٢١٧ .

٧٠- المئمة تقع غربى شندى .

٧١- عبدالرحمن زكى : أعلام الجيش والبحرية فى مصر أثناء القرن التاسع عشر ، الجزء
الأول ، مطبعة الرسالة ، وكذلك شقير ، مرجع سابق ، ص ١٢٢٢ .

٧٢- محمد عوض محمد : السودان الشمالى سكانه وقبائله ، القاهرة ١٩٥٦ ، لجنة التأليف
والنشر والترجمة ، ط ٢ ، ص ٧٧ - ٧٨ .

٧٣- المرجع السابق ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

٧٤- حمدنا الله مصطفى حسن . العبادة ، مرجع سابق ، ص ٧٤ .

٧٥- المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

المصادر والمراجع

باللغة العربية

٦- الأمير عمر طوسون : بطولة الأورطة السودانية المصرية فى حرب المكسيك -
الاسكندرية ، ١٩٣٣ .

١- جلال يحيى : مصر الأفريقية والأطماع الاستعمارية فى القرن التاسع عشر ، دار
المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

٤- عبدالرحمن زكى : تاريخ الجيش المصرى : وزارة الدفاع المتحف الحربى
القاهرة ١٩٣٩ .

٥- عبدالرحمن زكى : التاريخ الحربى لعصر محمد على الكبير ، دار المعارف بمصر ،
١٩٥٠ .

- ٨- محمد فؤاد شكرى : الحكم المصرى فى السودان ١٨٢٠ - ١٨٨٥ ، دار الفكر العربى ، ١٩٤٧ .
- ١٠- مكى شبكية- تاريخ شعوب وادى النيل ؛ مصر والسودان فى القرن التاسع عشر ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥ .
- ١١- مكى شبكية - مختصر تاريخ السودان ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- ٣- سلاطين باشا : السيف والنار فى السودان ، تعريب جريدة البلاغ ، مكتبة الحرية أم درمان - ١٩٣٠ .
- ١٢- ميمونة حمزة : حصار وسقوط الخرطوم ، جامعة الخرطوم ، ١٩٧٢ .
- ١٣- نعم شقير : جغرافية وتاريخ السودان ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٧ .
- ٢- حمدنا الله مصطفى حسن : العباددة تحت الإدارة المصرية فى السودان ١٨٢٠ - ١٨٩٧ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٩١ .
- ٩- محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان وتاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر - القاهرة ، ١٩٥٨ .
- ٧- محمد عوض محمد : السودان الشمالى سكانه وقبائله لجنة التأليف والنشر والترجمة ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

باللغة الأجنبية

- 1- Alford, Henry S. L. The Egyptin Soudan, its Loss and Recover; Nekro Universities Press. New York 1969
- 2- Fabunmi L.A: The Sudan in Anglo - Egyptian Relaions (Acase Study in Power Politics) 1800 - 1956; Longmans - London - 1960 .
- 3- Holt: PM. A Modern History of The Sudan (From The Fuxj Sulanate to The Present Day) ; Weidenfeld And Nicolson - London 1961 Second ED .
- 4- Magnus , Philip: Kitchener, Portrait of an Imperialist ; London : John Murray Imperialst 1958 .
- 5- Obert : Voll John : The Sudan Unity and Diversity in a Multicultural State ; Croom Helm - London - 1985 .
- 6- Wingate: F.R: Mahdism and The Egyptian Sudan; Aecond ed Cass - London 1968 .